

ومضات وذكريات مع شيخنا المرحوم أحمد القلاش

١٣٢٨-١٤٢٩ هـ... ١٩١٠-٢٠٠٩ م



سبحان الحي الذي لا يموت!! سبحانه .. سبحانه!!.

بلغني أمسُ نبأ وفاة الشيخ المعمر المبارك العالم أحمد القلاش رحمه الله رحمة الأبرار، وسكنه المراتب العليا مع الأخيار.

كان للشيخ في نفسي وفي نفس كثير ممن انتفع به سواء كان في حلب الشهباء بلده ومسقط رأسه أو في طيبة الطيبة التي حلّ فيها مجاوراً للحبيب المصطفى ﷺ منذ عام ١٤٠٠ للهجرة الشريفة المباركة الأثر الظاهر الذي لا يُنسى، لما خالط الشيخ من ذمّة الخلق مع أنس اللقاء وصدق العطاء. امتزجت في نفسي ذكريات الشيخ - رحمه الله - مع جلال وجمال المسجد النبوي، فغالب لقائي بالشيخ بالمسجد من بعد صلاة الصبح إلى الإشراف، في أبرك الأوقات وأكرم الساحات^(١). والمخالط للشيخ لا يملّ، فهو مأسور بلطيف الحكايات، أو بدائع الحكم والعبارات، أو رائع الأشعار والكنيات، وكل ذلك في أدب جمّ، يليق بمجاورة المكرّم، صاحب المكان عليه الصلاة والسلام.

وللشيخ - رحمه الله - ذوقٌ رفيعٌ، مع ما أوتي من جودة القريحة، وحسن البيان، ولطيف الإشارة، أهله لتذليل المسائل المشكّلة، أو المعاني الغامضة، فلا يغادرها إلا وقد ثبتت في الجنان، وتطوّع لها اللسان بحسن بيان!.

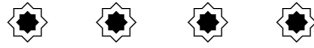
كان الشيخ لهذا مرجعاً حتى لبعض أكابر المدرسين والموجهين، قلّ أن يتناول كتاباً يمر عليه دون تعليقات منه لطيفة، أو استدراقات منيفة.

وقد أخذت عنه العناية بعلامات الترقيم في الكتابة، قال لنا مرة - بل مرات - في الحرم الشريف:

(هذه علامات التفهيم)!.

(١) وترددت على الشيخ أكثر من سنتين خلال إقامتي في المدينة المنورة من عام ١٤٠٠ هـ إلى ١٤٠٤ هـ مدة دراستي الجامعية.

فحسن وضع النقطة والفاصلة وغيرها في مواضعها له النظر الرفيع في حسّ الشيخ رحمه الله. قال لي مرة في الحرم الشريف: ما أحد سلّم من تعليقاتي إلا واحد، قلت: من هو؟، قال: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة!. وكان الشيخ حياً مشاركاً في "الرياض" فجلاً في عيني أكثر وأكثر رحمه الله. ثم مات الكاتب ومات المستدرك!. وهكذا لا يرحل الناس إلا بأقوال وأعمال، فإما أن تحسن في عرضها على ذي الجلال، وإما أن تكون حسرات وأغلالاً وأنكالا! .. رحم الله الشيخ أحمد وضاعف عليه شأيب الرحمات، وطيب الصلوات.



من لطيف قصصه:

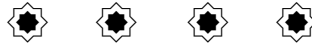
قال لي مرة في الحرم الشريف: سافرنا مرة من "حلب" إليكم في "الشام" طمعاً في زيارة الشيخ الويُّ الصالح أحمد الحارون رحمه الله، ولما دخلنا عليه قال: هاتوا كتاباً نقرأ قليلاً، فأشار من معي إليّ؛ لأنني أعلمهم، فلما تناولت الكتاب وأخذت بالقراءة، صرت ألحن لحناً عجيباً لا يقع فيه الجهال، فيردني كل كلمتين أو ثلاث! فنظر إليّ الشيخ أحمد الحارون وقال: اقرأ - يا شيخ أحمد - بلا نفس. أو كما قال، مع ابتسامة عجيبة! فسكنت قليلاً وانكسرت، ثم أخذت بالقراءة أهدر دون توقف!! وراء هذه القصة معانٍ ومعانٍ لا تخفى على كل مخالط للصالحين المتقين، والأخيار العارفين!!.



والشيخ ما نبغ - بعد ملاحظة العناية الإلهية من الصغر - إلا بالدراسة على أخصيارٍ من علماء حلب المباركين والمشهورين، وبخاصة في المدرسة الحسروية بحلب، أبرزهم:

- راغب الطباخ: مؤرخ حلب، درس عليه في الحديث: مختصر الزبيدي للبخاري مع شرح الشرقاوي عليه و(مقدمة ابن الصلاح) وفي التاريخ: (نور اليقين) و(إتمام الوفاء).
- وأسعد العبجي: العالم الأصولي المدقق، قرأ عليه (غاية الوصول شرح لب الأصول).
- وعمر الماريني: قرأ عليه (الإقناع في شرح متن أبي شعجاع) للخطيب الشربيني.
- وكامل الغزّي: درّسه الإنشاء.

- وأحمد الكردي: قرأ عليه (قطر الندى) بالمدرسة الإسماعيلية^(١).
- ومحمد الناشد: قرأ عليه في النحو شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وفي البلاغة قرأ عليه (التلخيص) للقزويني.
- وسعيد الإدلي: قرأ عليه متن التحرير في الفقه الشافعي.
- عبد الله المعطي: قرأ عليه الفرائض.
- فيض الله الكردي: قرأ عليه المنطق والتوحيد.



وبعد:

فمنذ أن تخرج الشيخ من المدرسة الخسروية عام ١٩٢٨م بدرجة "نابع ممتاز" لا يطربه إلا التعلم والتعليم، أنشأ الشيخ -رحمه الله- كُتَاباً صغيراً، ثم حوله إلى مدرسة سميت: (المدرسة الرضائية)، درّس فيها سبع سنوات هو ورفيقه الشيخ بكري رجب، وقد سمعت منه مرات في الحرم الشريف قصصاً ومواقف مع الشيخ بكري رحمه الله.

ثم درّس في المدرسة الشعبانية في حلب مع محدث حلب المبارك المعتقد الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله، واستمر فيها أكثر من ثلاثين عاماً، كما درّس في الخسروية والثانوية الشرعية وغيرها. وكان ينتقل بين المدارس مع حرصه على الوقت، حيث كان غذاؤه التين اليابس المحشو بالجوز. ماذا تقول عمّن حفظ ألفية ابن مالك وعمره ثلاث عشرة سنة، بالإضافة إلى منظومات أخرى، ويُغري بالتعلم والتعليم منذ ذلك السن إلى ما قبل شهر من وفاته، وهو حاضر في ذهنه، ولا يُقرُّ لحناً بالقرآن أو العربية؟!.

وقد درّس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة قريباً من ثلاث سنين، وعمل في أثنائها سنة في مجلس البحث العلمي، وكان يجلو لبعضهم أن يلقيه بشيخ النحاة في حلب، وقد أصابوا في ذلك، ولكن الذي ميزه عن غيره في قضية النحو والعربية إلى جانب تدريس كتبها المعروفة هو استنباطها وممارستها في الواقع، فكنا نجلس ومعنا مصاحفنا كل واحد يقرأ صفحة، فلا يشرع آخر بحصته إلا بعد أن يسمع تعليقة أو تعليقتين أو أكثر في النحو أو الصرف أو البلاغة أو الفقه أو التاريخ أو السيرة وهكذا.

وقد أخذتُ عنه هذه الطريقة جملةً من الطلاب والمخالطين.

(١) هو جد الأستاذ الدكتور أحمد الكردي، الخبير في الموسوعة الفقهية في وزارة الأوقاف الكويتية.

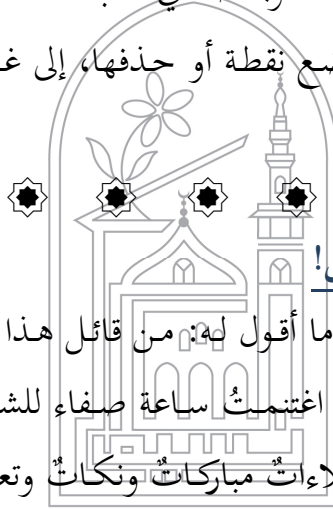


كان الشيخ -رحمه الله- لا ينسى طلابه والمتردددين عليه، ويسأل عنهم، وقد أرسل إليّ بعد أن غادرت المدينة المنورة إلى الكويت بسنين كتابه في تذليل المعاملات في الفقه الشافعي، فكان من أغلى الهدايا لديّ.

وقد خط إهداءه إليّ في الصحيفة الأولى من كتابه الشهير: (تيسير البلاغة)، فكان أبلغ أسلوبٍ في ربط الطالب بأستاذه.

اتهموا المطبعة لتفهموا!

عبارة شهيرة للشيخ، يقصد بها عدم التسليم بصواب الطباعة عندما يكون فهم المعنى محتماً بتقديم كلمة أو تأخير كلمة أو نقطة أو فاصلة، وبخاصة في الطباعات الحديثة، فكم من المرات استُعلقت علينا عبارة أو كلمة، ثم انكشفت بوضع نقطة أو حذفها، إلى غير ذلك .. فيتبسم قائلاً: ألم أقل لكم: اتموا المطبعة لتفهموا!؟



خذ الحكمة ولا تسأل عن القائل!

كنت أسمع منه هذه الجملة عندما أقول لهم من قائل هذا البيت أو الأبيات؟ فيقول: (خذ الحكمة ولا تسأل عن القائل!) ومرةً اغتنمْتُ ساعةً صفاءً للشيخ في جانب من رحبة المسجد المبارك، فأخذتُ دفترتي الذي فيه إهداءاتٌ مباركاتٌ ونكاتٌ وتعليقاتٌ وفوائدٌ من كلامه وأشعاره الرائقة^(١)، فأخذتُ أكرُّ عليها: من قال كذا؟ فيقول: فلان! من قال كذا؟ فيقول: فلان! مع ابتساماتٍ لها ما وراءها عند المتعلقين والمتأدبين في رحاب سيد المرسلين!.



علمان من علماء حلب لا أنساهما!

كنت كلما نزلت المدينة المنورة أحرص على اللقاء بالشيخ والجلوس في حلقتة التي قلّ أن تخلو من فاضل أو موجه، الكبار والصغار كلٌّ يأخذ على قدره!. وكنت أنقل له سؤال وسلام شيخنا

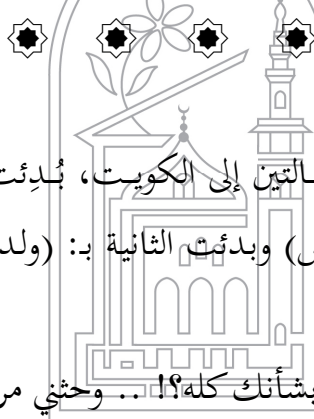
(١) أرجو أن يعيِّض لي نشره.

المبارك الدكتور محمد فوزي فيض الله - أمتع الله به- وأرجع حاملاً سؤال وسلام الشيخ أحمد له، وكل منهما يجل الآخر ويثني عليه!.

وقد أوردت في ترجمتي لشيخنا الشيخ فوزي الشيخ أحمد القلاش - رحمه الله - ضمن شيوخه، فقد أخبرني الشيخ فوزي بنفسه أنه حضر دروسه في علم الحديث في جامع (بان قوسه) بجلب أيام الطلب.



وممن كنتُ أتعاهد زيارته والسلام عليه في الحرم من العلماء المجاورين ممن لهم مصافاة وصلة مع الشيخ أحمد القلاش المبارك الفقيه محمد الحجار، رحمه الله رحمة الأبرار، واليوم رحل المجاور للمختار، إلى كنف الله العفّار، ولن أنسى كلما ترددت إلى المسجد المعمور حلقتي الراحلين: الشيخ الحجار والشيخ القلاش، أقف في الموضع هنيئاً لزاماً عليّ حفظاً للودّ، ورعاية للعهد، فلا غرو أن حفظ العهد من الإيمان!



لا خير في علم لا يثمر الأدب!

أرسل إليّ الشيخ - رحمه الله - برسالتين إلى الكويت، بُدِئت الأولى بـ: (ولدنا الغالي السيد (فلان)) وختمت بـ: (المحب أحمد القلاش) وبدُت الثانية بـ: (ولدي الحبيب الغالي السيد: (فلان)) وختمت بـ: (أحمد القلاش).

كيف تنسى من يقول لك: أخبرني بشأنك كله؟! .. وحثني مرة على الزواج في رسالة وقال: لعل الله يجمع شملك بمن تكون قرّة عين لك، لتسكن إليها، وبطيب عيشك معها، واحرص على أن تكون من بلدك، ممن تُعرف بالدين والخلق والصيانة ..) هذا فعل من يتدبّر بالتعليم، ويعده من الأعمال المقربة لرب العالمين!.

كم من فرّق بين من تنقضي صلته بالطالب إذا غادر قاعة الدرس، وبين من يواصله بعد سنين، ويطلب عرض شؤونه عليه؟!..!



الشيخ أحمد وحظر التدخين:

طلبت من شيخنا -رحمه الله- بعد حضور الدرس الصباحي المعتاد في الحرم الشريف صبيحة يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ذي الحجة عقب حجتي عام ١٤١٩ هـ من الكويت خلاصة حكمه على الدخان لأضعها ضمن الفتاوى المعاصرة في كتابي الذي صدر عن التدخين، فقال لي رحمه الله: كنت أعطيتك نسخة من رسالتي في ست عشرة صفحة عن الدخان سميتها: (بليّة الدخان) ولكن نفدت النسخ، ولكن أكتب لك كلمة موجزة كانت إجابة لأحد العلماء الصالحين - نسيت اسمه الآن- عندما سُئِلَ عن حكم الدخان، ثم كتب لي بخط يده ما يلي:

س- هل الدخان من نوع الطيب أم الخبيث؟

ج- قال الله تعالى في وصف نبيه أبي الطيب: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف، ١٥٧] أقول: وهذا من أوجز ما يقال لذي اللب من مسجد الطيب المطيب - أبي الطيب - ﷺ^(١).



- إذا أذنبت فُتُبْ كما علّمك أبوك. الروح كالريح إن مرّت على طابث، وتخبثُ إن مرّت على

- وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أمطري لؤلؤاً سماء سرنديب
بب وفضي آبار تَكُرُورَ تِبرَا
أنا إن عشتُ لستُ أعدم قوتاً
وإذا ما متُّ لستُ أعدم قَبِراً
همّي همّة الملوِكِ ونفسي
نفسُ حُرِّ ترى المذلة كُفِرا

- وقول ابن الفارض رحمه الله:

ولي في الهوى عِلْمٌ بَحِلُّ صِفَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يُفَقِّهُهُ الْهَوَى فَهُوَ فِي

- وقول بعضهم:

يا قلبُ صَبِراً عَلَى هَجْرِ الْأَحِبَّةِ
بَجْرَعٌ لِذَلِكَ؛ فَبَعْضُ الْمَجْرِ تَأْدِيبُ

(١) انظر فتواه في الدخان مختصرةً في كتابي: (التدخين داؤه ودواؤه)، ص ١١٨.

- وقول محمد مهدي الرواس رحمة الله عليه:

قل لهذا الليل مهما شئت طل
كيف يأوي العين بالليل الكرى
خلني عنك ودعني إنني
إن عيني كحلت بالأرق
وهي تجري دائماً بالحرق
سهرتي حتى اللقا من خلقي

وقول بعضهم:

لما الله الزمان فقد تعدى
وصف بصف ضرها الجحاشا



تعلق الشيخ بالجناب النبوي:

وللشيخ -رحمه الله- شؤون في حبة الأمين المأمون ﷺ، تظهر بمجاورته وتعلقه وشغفه بإيراد القصص والأخبار النبوية والأشعار الرائقة في المديح، فينشر منها في المجالس بما يعجب ويضطرب، ومن أمارات محبته وتعلقه هيئة جلوسه في الحرم، فقد كنا نجلس بحيث نرى جهة الروضة الشريفة، والقبة الخضراء المنيفة!.

ومما سمعت منه في الحرم الشريف:

كلفوه بشقه القمر الزر
فدعا فاستبان شقين في الحما
فاسترابوا بأنه السحر حتى
أخبروهم بصدقه فاستمروا
هر ليلاً تكليف ما لا يشاء
ل وبين الشقين بان حراء
جاء من كل وارد أنباء
والعمى لا تفيده الأضواء

وقال ويرمز للمدينة:

هي العذراء يهدينا هواها
ولا عجب إذا حلت بقلبي
إذا ما الغير بالعدراء ضلاً
فإن بما رسول الله حلاً

وأنشدنا من شعر عيسى البيانوني -رحمه الله- المدفون بالبقيع ١٣٦٢هـ:

يا هناء العاشقين الصادقين
قال لي المحبوب: يا هذا اللبيب
لحبيب الله ختم المرسلين
قم توجه يا حبيبي للحبيب

أنت بالطبِّ عليمٌ وأمين

لمريض القلبِ قد صرتَ الطبيب

وأنشد رحمه الله:

فقلت لهم: هذا الذي عنه

وقالوا غداً نأتي ديار محمدٍ

على الرأس نسعى أو على العينِ

أنيخوا فما بال الرُّكوبِ وإنما

ومما سمعت منه:

جعلتُ سوادَ عيني أمتطيه

أتيتك زائراً ووددت أني

إلى روضِ رسولِ الله فيه

ومالي لا أسيرُ على عيوني

ومما استجاده لنا:

والكلُّ تيجانٌ حسنٍ وهو إكليلٌ

الأنبياءُ بدورٌ وهو أكملهم

وفي حرم رسول الله سمعت منه:

وتفخيمُ المديحِ من الرِّشادِ

جحدُ فضيلةِ الشعراءِ غيِّ

وأعلتُ كعبه في كلِّ نادٍ

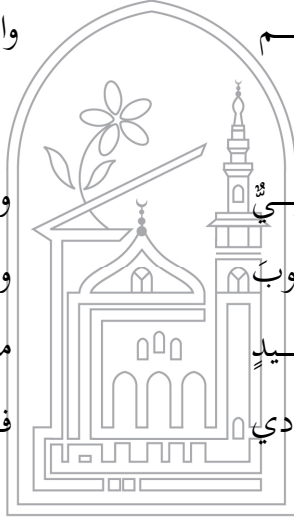
محتٌ (بانت سعادٌ) ذُنوبِ

مشبَّبةٍ بيِّنٍ من سُعادِ

وما احتاجَ النبيُّ إلى قصيدِ

فكانَ إلى المكارمِ خيرَ هادٍ

ولكنَّ سنَّ إسداءِ الأياديِ



وهذا غيضٌ من فيضٍ، وزهراتٌ من بساتين، ومعروف عن الشيخ -رحمه الله- ذوقه في تخير

الشعر والنثر. ومن أمارات التعلق بالجناب النبوي ومحبه لأداب الحبيب ﷺ قوله في مقدمة كتابه

(نفحات محمدية): آسفٌ كلَّ الأسفِ إذ لم يقرَّر في كلية الآداب الكثير من حكمه النبوية، وأساليبه

البديعة، ويكتفون بالأشعار الجاهلية، أو أبيات الغاوين، الذين هم في كل واد يهيمون، ويقولون ما لا

يفعلون، غافلين عن قول شوقي -رحمه الله- في فصاحته ﷺ:

حديثك الشَّهد عند الدَّائقِ

يا أفصح الناطقين الضادَ قاطبةً

وعن قوله في بلاغته:

إذا لم يتَّخذك له كتاباً

فما عرفَ البلاغةَ ذو بيانٍ

وعن قول بعض الأدباء:

وكلُّ من راح يُدعى بالأديبِ ولم يُفْزَ بمدحك يوماً ما له أدبٌ

ويواصل الشيخ رحمه الله:

فكنت كلما وجدت جوهرة نبوية، أو حكمة محمدية في كتاب، أضع بجانبها إشارة، وأسجل عنوانها، ورقم صفيحتها على جلد ذلك الكتاب ... وهكذا حتى اجتمع له كتاب، وعلم بذلك الطلاب كيف يجمعون الفوائد والفرائد من الكتب.

ومن أساليبه التربوية والتعليمية:

كان كثيراً ما يقول لمن يعلّق بقلمٍ حبرٍ ثم يخطئ فلا يقدر على مسح الخطأ: استعمل قلم رصاص! وهذا من ذوق الشيخ مع الكتب، وإذا علّق وكتب الحاضرون، فإنه يحبُّ أن يرى ما كتبوا كل حين، فيتناول ويعلّق ويصحح أشياءً دقيقة بخطه الجميل، وإذا حضر بعضهم دون قلم يقول له: أين قلمك؟!، طالب بلا قلم مثل محارب يذهب إلى الميدان بلا سلاح!. فأخذتُ عنه وضع قلم الرصاص دائماً في جيبي!.

والإمساك بالكتاب ووضع العلامات فيه فنُّ له أذواق، ورسوم تنم عن الأدب مع أصحابها ومؤلفيها.

وإذا وقع استشكال في قضية تفسيرية أو بيانية أو نحوية أو غيرها وقال شيئاً ثم تبين له خلافه، يعترف مع سرور ويقول: أخطأت! وليزيد هذا الخلق تأكيداً يقول: (أخطأت) بضمّة كبيرة فوق التاء مع الإشارة بكفه؛ ليخلع من القلب محبةً المكابرة التي تحلو لكثيرين في مثل هذا الحال!.



تكليف الطالب بمراجعة مسألة وتحقيقتها:

وهذه قضية مهمة، وتكون عندما يرى الشيخ حاجةً لأن يشغل طالباً لا ينتهز كما ينبغي، أو ليسعف الحاضرين بزيادة معنى فيها، أو ليدكّر الطالب، أو ليوقفه على بحث السابقين واجتهادهم في دقيقة لا يُظنّ أنهم يطوّلون فيها، إلى غير ذلك من الأسباب. وقد طلب مني مرة -رحمه الله- التعليق والنظر فيما قاله أهل العلم في بعض الآية الثانية والأربعين من سورة المائدة: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ...﴾ [المائدة، ٤٢] فرجعت إلى كتب عديدة

وأخبرته، ويمكّن الشيخ الطالب مما نقل ونقد، مع حسن استماع، فينتفع الطالب دروساً من قضية واحدة!.

وحقاً (منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا) ^(١) والشيخ لا يكاد يترك كتاباً وقع في

يده إلا ويقرؤه أو يلم به، وربما قرأ موسوعات كبيرة كفتح الباري وشرح مسلم للنووي.



أهم مؤلفات الشيخ:

(تيسير البلاغة)، (أحكام البيع على المذهب الشافعي).

ومن رسائله: (من كنوز الإسلام)، (من ذخائر الإسلام)، (في ظلال الجنة)، (تفسير جزء عم)، رسالة في تحريم الدخان بعنوان: (بلية الدخان)، (الصلاة الخاشعة)، (أفضل المساعي في ترجمة أحمد الرفاعي)، (القصاص النبوي الصحيح)، (كيف تكون مسلماً)، (صوموا تصحوا)، (كيف تحج)، (من آداب الإسلام في المجتمع)، (حي على الجهاد)، (طريق النصر)، (محمد رسول الجهاد)، (من أنفع الدروس في تهذيب النفوس)، (سلم الأطفال لبلوغ الكمال)، (عيسى بن مريم)، (يوسف الصديق)، (نوح عليه السلام)، (أنبياء العرب)، (جنة آدم)، (معجزة الإسراء والمعراج)، (من بدائع الحكم)، (حسان التلميذ البطل، قضية تربية).

وحقق كتاب: (كشف الخفاء) للعجلوني و(إتمام الوفاء)، وضبط مجموعة من الكتب منها: متن (البناء)، و متن (المقصود) في علم الصرف. وفي الحقيقة إن كثيراً من الرسائل العلمية في الدراسات العليا في عدة جهات قد عرض عليه كاتبها النظر فيها، وهم طلاب مبرزون يعزّون على الشيخ، أو شعراء وأدباء متمكّنون يعرفون ذوق الشيخ، ويعرف صدقهم وجودة عطائهم، فلا يصدر عنهم في أعمالهم وأبحاثهم ودواوينهم إلا

(١) قال عنه العجلوني في (كشف الخفاء): (رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود رفعه، وهو عند البيهقي في المدخل عن ابن مسعود أنه قال: (منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا، ولا يستويان، أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقال إنه موقوف ومنقطع، ثم ساقه عن أنس مرفوعاً بلفظ: (منهومان لا يشبعان، منهوم في العلم لا يشبع منه، ومنهوم في الدنيا لا يشبع منها) قال: وروي عن كعب الأحبار من قوله. ورواه البزار من حديث ليث عن طاووس أو مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ الترجمة، وقال لا نعلمه يروى من وجه أحسن من هذا، ورواه العسكري عنه بلفظ: (منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته، منهوم في طلب العلم، ومنهوم في طلب الدنيا) وأخرجه العسكري أيضاً عن أبي سعيد رفعه (لن يشبع مؤمن من خير سمعه حتى يكون منتهاه الجنة) ورواه أيضاً عن الحسن قال: (بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس، إنما هما = منهومان، فمنهوم في العلم لا يشبع، ومنهوم في المال لا يشبع) وفي الباب عن ابن عمرو وأبي هريرة، وهي وإن كانت مفرداتها ضعيفة فبمجموعها يتقوى الحديث). اهـ

بتعليقاتٍ نافعةٍ، واستدراكاتٍ نفيسةٍ، يرتاحون لها ويغتبطون ويسلمون، كلُّ ذلك دون رغبة لظهور، أو تشوق لحضور!.



قلاش) أو (القلاش):

كان ربما قال لتواضعه: (أنا لا شيء، أنا قلاش)! ووجدت عند البحث في (تاج العروس شرح القاموس): القلاش: ليس بالعربي، ويعنون به المملع، والذي لا يملك شيئاً، أو لا يثبت على شيء واحد. وظني أنه يريد المعنى الثاني: أي الذي لا يملك شيئاً!. وأقول في نفسي: هل ضرره أن الاسم غير عربي، إذا كان شيخاً للعربية باعتراف أكابر المشتغلين بها، أدباء أو شعراء!؟



أخريات الأيام المباركة:

بقي الشيخ دهره الطويل المبارك الذي تَبَيَّنَ على قرنٍ كاملٍ بالحساب القمري بين وظائفه التي يتعاهدها لأهل العلم والأدب والغيرة على الجيل وطلاب العلم. ومنذ أن حلَّ في طيبة عام ١٤٠٠ للهجرة مجاوراً، يتعاهده الزائرون والمحبون والمنتفعون في الحرم وفي بيته، إلى أن دخل في مرضٍ أقعده، وبقي ذِكْرُهُ وسماعُهُ لمن يقرأ عليه بين الفينة والأخرى، ولا يُقَرَّرُ خطأً يسمعه، وقبل شهرين من وفاته توقف القلب، فأُسْرِعَ في علاجه، فدام شهراً في تعب، ثم خُتِمَ عمره بشهرٍ لا يميِّز فيه أحداً، حتى جاء الأجل ونفد زيت السراج عصر السبت التاسع من رجب ١٤٢٩ هـ الموافق لـ ١٢ تموز ٢٠٠٨م، ودفن في بقيع الغرقد من اليوم التالي بعد صلاة الصبح، بعد أن صُلِّيَ عليه في الحرم الشريف.

حظوظٌ إلهيةٌ ربانيةٌ سنيةٌ كتبت له أن يثوي في البقيع، بعد مجاورة الشفيع ثلاثين عاماً، وقبل بضعة أشهر رجعت زوجته، وتوفيت هناك في حلب.

أنجب الشيخ ذكراً وأربع بنات، ولكن أولاده لا يُحصون، يذكرونه هنا وهناك بعلمه وأدبه وحبِّه!، وهذا الثناء الحسن هو العمر المديد الذي لا ينقضي والله!.

نعم، نعزِّي بالشيخ وبخاصة الطلاب والمحبين، ولكن لا نذهل عن أن نغبطه، فقد حلَّ بعد مجاورة الشفيع في جنة البقيع، في تربة المقربين، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وبقين.

وأحسن ما أختتم به كلامي ما قاله الشيخ بنفسه في ختم كتابه (قيسات إسلامية) وهو جملة من
الوصايا والمواعظ:

أنا العبد الخاطئ المقرُّ لربي بأني ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، ولا أزعج بأني أعظ غيري، بل
أوصي نفسي وغيري بالتعاون على البر والتقوى، راجياً دعوةً لي من أخ صالح، فنكون من الذين
تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وإلا فمن أنا؟ فما مثلي إلا كما قيل:

وغيرُ تقِيٍّ يأمرُ الناسَ بالتقى طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلٌ

وأعوذ بالله أن أكون كالمُنخُل يُفَلِت اللُّبابُ، ويُمسِكُ لنفسه النُّخالةَ، أو كالشمعة تُضيء للناس
وتُحرق نفسها، لكن أمني بعفو الله وكرمه كبير، وهو على كل شيء قدير.

أحمد القلاش



رحم الله الشيخ أحمد بن عبد القادر القلاش، رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا معه تحت راية النبي
المختار، إنه الكريم الغفار. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم لا تحرمنا أجره،
ولا تفتننا بعده، واغفر لنا وله.

كتبه المحب الطالب:

محمد ياسر القضماني

الكويت ١٢ من رجب

الموافق ١٥/٧/٢٠٠٨ م.